مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلام على أصحابه البررة المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين الى قيام يوم الدين.

أما بعد: لايخفى أننا لازلنا بحاجة الى تكريس الجهود ومضاعفتها نحو نشر المفاهيم الأخلاقية والتربوية وترسيخ المفاهيم الإيمانية التي تضمنتها رسالة الإسلام لبناء الفرد بناءً فعليا حقيقيا ليكون انطلاقة سليمة لبناء ذلك الكيان الإنساني الشامخ الذي ماهو إلاّ اللبنة الأولى لبناء مجتمع إسلامي راسخ البنيان، عتيد المراسي.

لذا ومساهمة في ذلك جاءت برامج إذاعة الكفيل صوت المرأة المسلمة كسبيل للوصول الى ذلك وقد أخذت هذه البرامج طريقها الى أسماع الكثيرين عبر أثيرها وعبر شبكة الانترنت العالمية صوتا ولأجل تعميم الفائدة إرتأت الإذاعة إيصال برامجها كتابيا الى أيدي الذين لم يسعفهم الوقت لسماعها وذلك بطباعة بعض من برامجها وإصدارها ككراس.

الحلقة الأولى

الصبر

الحمد لله بعدد الرمل والحصى الحمد لله الذي أبدع ما خلق وصلى الله على محمد سيد الأنام وعلى آله الطيبين الطاهرين.

حديثناعن الصبرالذي كثيرا ماذكره الله في كتابه العزيز، ووجه الحاجة إلى الصبر ان المريض إنما يطول مرضه لتناوله ما يضره وإنما يتناول ذلك اما لغفلته او لشدة غلبة شهوته، إن المريض إذا اشتدت ضراوته لمأكول مضر فطريقة ان يستشعر عظم ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الألم الذي يصيبه جراء تركه، وكذلك هي الحال في معالجة الشهوة في المعاصي.

فالشاب مثلا إذا غلبت عليه الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه ولا حفظ قلبه اوحفظ جوارحه في السعي وراء شهوته فينبغي أن يستشعر ضرر ذنبه بان يستقري المخوفات التي جاءت في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ حتى اذا اشتد خوفه ابتعد عن الأسباب المهيجة لشهوته.

وكل ذلك لا يتم إلا بالصبرعن خوف ولا يخاف إلا عن علم

ولا يعلم إلا عن بصيرة وافتكار او عن سماع وتقليد، فأول الأمر حضورمجالس الذكر ثم الإستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف إلى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم فينبعث من تمامه لا محالة الخوف واذا قوي الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعثت الدواعي لطلب العلاج، فمن أعطى بقلبه حسن الإصغاء واستشعر الخوف فاتقى وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسييسره الله لليسرى.

ومن أسباب الإصرار على الذنب عند المؤمن ليس مرده دائما لفقد الإيمان بل قد يكون أيضا لضعف الإيمان لا لفقده، اذ كل مؤمن مصدق بأن المعصية سبب للبعد عن الله وسبب للعقاب في الآخرة اما السبب في وقوعه في الذنب فيرجع إلى عدة امور:

منها: ان العقاب الموعود غيب ليس بحاضر والنفس بطبيعتها جبلت على التأثر بالحاضر.

ومنها: ان الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وقد قويت واستولت عليه بسبب الإعتياد والألفة فالنزوع عن العاجل لخوف الأجل شديد على النفس ولذلك قال الله تعالى: ﴿**كَلا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ**

* وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾(١).

وقال عز وجل: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾(٢) قال رسول الله ﷺ: «**حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**»، قال الله تعالى لداود عليه السلام: ﴿**حرام على كل قلب عالم محب للشهوات أن أجعله إماما للمتقين**﴾.

وقال رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَمَّا خَلَقَ الله الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِئِيلَ: اذهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِئِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ.**

قَالَ: فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِئِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِئِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَبْقَى أَحَدٌ إِلاَّ

(١) القيامة ٢٠-٢١

(٢) الاعلى ١٦

دَخَلَهَا».

إذن فكون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متأخر إلى المآل سببان ظاهران في الإسترسال في الذنوب مع حصول أصل الإيمان.

ومنها: ما من مذنب مؤمن إلا وهو«في الغالب» عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات، إلا ان طول الأمل غالب على الطباع فلا يزال يسوف بالتوبه والتكفير.

ومنها: ما من مؤمن موقن إلا وهو معتقد أن الذنب لا يوجب العقوبه إيجابا لا يمكن العفو عنها فهو يذنب وينتظر العفو اتكالا على فضل الله فهذه أسباب اربعة موجبة للاصرار على الذنب مع بقاء أصل الإيمان.

ربما يتسائل بعضنا ما هو العلاج لهذه الأسباب الأربعة فنقول لكم ان علاج السبب الأول: ان يقر على نفسه بأن العقاب وإن تأخر آتٍ آتٍ وإن غدا لناظره قريب وان الموت أقرب إلى كل أحد من شراك نعله فما يدريه فلعل الساعة قريب.

وعـلاج السبب الثاني: أن يقول لنفسه إن كل يوم في الآخرة بمقدارخمسين ألف سنة في أيام الدنيا فاذا كنت لا أقدر على ترك لذاتي أيام العمر وهي قلائل فكيف أقدر على ذلك أبد الآباد؟ واذا كنت لا أطيق ألم الصبر على الشهوة فكيف أطيق ألم النار؟ وإذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كدورتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف أصبر عن نعيم الآخرة؟

فبهذا التفكّر يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها.

وعلاج السبب الثالث: وهو التسويف في التوبة فيعالجه بالتفكر في حقيقة ان أكثر صياح أهل النار من التسويف لأن المسوف يبني على انه باقٍ ولعله لا يبقى وإن بقي فقد لا يقدر على الترك غداً كما لا يقدر عليه اليوم. فهل عجز عن الترك في الحال الا لغلبة الشهوة عليه والشهوة ليست تفارقه غداً بل قد تتضاعف لأنها تتأكد وتترسخ بالإعتياد عليها.

فليست الشهوة التي أكدها الإنسان بالعادة كالتي لم يؤكدها وعن هذا هلك المسوفون وما مثال المسوف إلا مثال من احتاج إلى قلع شجرة فراها قوية لا تنقلع إلا بمشقة شديدة فقال: أؤخرها سنة ثم أعود اليها

وهو يعلم إن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه.

في علاج السبب الرابع: وهو انتظارعفو الله تعالى فعلاجُهُ ماذكرناه قبل قليل وحال هذا الإنسان كمن ينفق جميع أمواله ثم يترك نفسه وعياله فقراء منتظراً فضل الله تعالى ان يرزقه العثورعلى كنز في أرض خربة.

وعلاج القلوب لردها إلى التفكر يكون:

١- بالتدبر في عقبات الآخرة وأهوالها وشدائدها وحسرات العاصين في الحرمان من النعيم المقيم. وهذا التفكر مؤلم للقلب ولذلك ينفر عنه القلب ويتلذذ بالتفكر في أمور الدنيا.

٢- التفكر بالموت وما بعده والتفكر في لذات الدنيا السريعة الزوال والمشوبة بالمكدرات أما لذات الآخرة فهي أشد وأعظم ولا آخرلها ولا كدورة فيها.

فهذا التفكرمنبه للقلب وقد روي ان عماربن ياسر قال للإمام

لعلي عليه السلام: «يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الكفرعلى ماذا بني ؟ فقال: على أربع دعائم: على الجفاء والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقرالحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمي نسي الذكرومن غفل حاد عن الرشد ومن غرته الأماني فأخذته الحسرة والندمة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب».

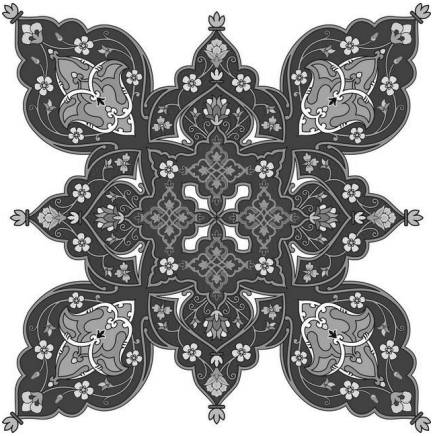

الحلقة الثانية

التوبة والندم وإعتراف العبد بذنوبه

الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الأكاسرة وقصربه آجال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فإذا هم في الحافرة فنقلوا من القصور إلى القبور ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الغلمان إلى مصاحبة الهوام والديدان ومن التنعم بالشراب إلى التمرغ بالتراب ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصناً او اتخذوا من دونه حجاباً حرزاً وأبصر هل تحس منهم من أحد او تسمع لهم ركزاً.

يا أيـها الناس كان لـي أمل   قصر بي عن بلوغه الأجل
فليتــق الله ربـــه رجــل   أمــكنه فـي حـياته العمل
ماأناوحدي نقلت حيث ترى   كــل إلى مـثلــه سيـنتقل

فسبحان من تفرد بالقهر والإستيلاء واستأثر باستحقاق البقاء وأذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ثم جعل الموت مخلصاً للأتقياء وموعداً للقاء وجعل القبر سجناً للأشقياء وحبسا ضيقا عليهم إلى يوم الفصل والقضاء.

فله الإنعام بالنعم المتظاهرة وله الإنتقام بالنقم القاهرة وله الشكر في السماوات والأرض وله الحمد في الآخرة والأولى فجدير بمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود انيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الأرض مستقره والقيامه موعده والجنه والنار مورده ان لا يكون له فكر إلا في الموت ولا ذكر إلا لأجله ولا تطلّع إلا اليه ولا تعريج إلا عليه ولا اهتمام إلا به ولا حول إلا حوله ولا انتظار ولا تربص إلا له وحقيق بأن يعد نفسه من الموتى فإن كل ماهو آتٍ قريب وقد قال النبيﷺ: «**الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت**».

ولن يتيسر الإستعداد للشيء إلا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره إلا عند الإصغاء إلى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه.

ان المنهمك بالدنيا المكبّ على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكّر به كرهه ونفر منه وأولئك هم الذين قال الله تعالى

فيهم: ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى**

عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١).

والناس إما منهمك او تائب مبتدئ او عارف منته.

أما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فإنه يذكره ليتأسف على دنياه وهذا إنما يزيده ذكر الموت من الله بعداً.

وأما التائب فإنه يكثر ذكر الموت لكي ينبعث من قلبه الخوف والخشيه فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من ان يختطفه قبل التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا الشخص تحت قول النبيﷺ: «**من كره لقاء الله كره الله لقاءه**».

فان هذا الإنسان ليس يكره الموت ولقاء الله وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره، وعلامة هذا المقام ان يكون صاحبه دائم الإستعداد للقاء الله ولا شغل له سواه والا إلتحق بالمنهمك في الدنيا.

واما العارف فإنه يذكر الموت دائماً لأنه موعد للقائه بربه والعارف بالله لا ينسى قط موعد لقائه فهو يحب مجيء الموت ليتخلص من دار

(١) الجمعة ٨

العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين، وهو معذور في حب الموت وتمنيه.

وهنا مقام أعلى وأسمى وهو مقام من يفوض أمره إلى الله فصار لا يختار لنفسه موتاً ولا حياة بل يكون أحب الأشياء اليه أحبها إلى مولاه فهذا الإنسان قد انتهى به فرط الحب والولاء إلى درجة التسليم والرضا وهو الغايه والمنتهى.

وعلى كل حال فان في ذكر الموت ثوابا وفضلاً حتى المنهمك بالدنيا فإنه يستفيد أيضا من ذكر الموت بالتجافي عن الدنيا اذ يتنغص عليه نعيمه ويتكدر عليه صفو لذته وكل ما يكّدر على الإنسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة.

قال النبيﷺ: «**أكثروا ذكر هادم اللذات الموت**».

وقالﷺ: «**لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سميناً**»، وقالﷺ في حديث آخر: «**أكثروا ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا**».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**ذكر الموت يميت الشهوات في النفس ويقطع منابت الغفلة ويقوي القلب بمواعد الله ويرق الطبع ويكسر اعلام الهوى ويطفيء نار الحرص ويحقر الدنيا وهو معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: تفكّر ساعة خير من عبادة سنة وذلك عندما يحل أطناب خيام الدنيا ويشدها في الآخرة ولا يسكن نزول الرحمة على ذاكر الموت بهذه الصفة ومن لا يعتبر بالموت وقلة حيلته وكثرة عجزه وطول مقامه في القبر وتحيره في القيامه فلا خير فيه قال النبي صلى الله عليه وآله: أكثروا ذكر هادم اللذات قيل: وما هو يا رسول الله؟**

قال: الموت فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة إلا ضاقت عليه الدنيا ولا في شدة إلا اتسعت عليه والموت أول منزل من منازل الدنيا فطوبى لمن أكرم عند النزول بأولها وطوبى لمن أحسن مشايعته في آخرها والموت أقرب الأشياء من ابن آدم وهو يعده أبعد فما أجرأ الإنسان على نفسه وما أضعفه من خلق وفي الموت نجاة المخلصين وهلاك المجرمين ولذلك اشتاق من اشتاق إلى الموت وكره من كره قال النبي صلى الله عليه وآله: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه».

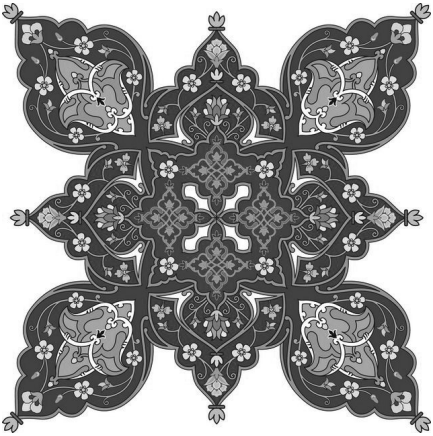

الحلقة الثالثة

ذكر الموت في القلب

يتساءل أحيانا بعض الناس عن طريق تحقيق ذكر الموت في القلب؟

فالجواب: هو ان الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلّة تفكّرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره منهم فليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجح ذكر الموت فيه.

والطريق لتحقيق ذكر الموت في القلب يحصل بأن يفرغ العبد قلبه من كل شيء إلا من ذكر الموت، كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة خطرة او يركب البحر فإنه لا يفكر إلا فيه وإذا باشر قلبه ذكر الموت فإنه سيتأثر به وعند ذلك يقل مزحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه.

وأفضل طريق فيه ان يكثر الإنسان تذكر أقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت التراب ويتذكر صورهم وأحوالهم وكيف محا التراب حسن صورتهم وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم وكيف أرملوا نسائهم وأيتموا أولادهم وأورثوا أموالهم وانقطعت آثارهم وأوحشت ديارهم.

وأن يتذكر كيف ان الميت كان يمشي والآن قد تهدمت رجلاه وكيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد اكل التراب أسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يكن يحتسبه فانكشفت له صورة الملك وقرع سمعه النداء إما إلى الجنة وإما إلى النار.

فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير الموت نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له فيتجافى عن دار الغرور وإلا فإن تذكر الموت بظاهر القلب ولقلقة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه واذا طاب قلبه بشيء من الدنيا فينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بد من مفارقته.

نظر أحدهم إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى وقال: والله لو لا الموت لكنت بك مسروراً ولو لا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى بكاءً شديداً حتى ارتفع صوته.....

قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمر: «**اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من دنياك لآخرتك ومن حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غداً**».

وروي ان أسامه بن زيد بن ثابت اشترى وليدة بمائة دينار إلى شهر فقال رسول الله ﷺ:

«**ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت أني واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال: يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده ان ما توعدون لآتٍ وما أنتم بمعجزين**».

وقال سلمان المحمدي رضي الله عنه:

«**ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وضاحك ملء فيه لا يدري أساخط رب**

العالمين عليه أم راضٍ عنه وثلاث أحزنتني حتى أبكتني فراق الأحبة محمد وحزبه وهول المطلع والوقوف بين يدي ربي لا أدري إلى الجنة يؤمر بي أو إلى النار».

ان لطول الامل سببين:

الأول: الجهل.

الثاني: حب الدنيا.

فالإنسان اذا أنس بالدنيا وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع عن التفكير في الموت، وكل من كره شيئاً دفعه عن نفسه والإنسان مشغوف بالأماني الباطنة فيمني نفسه أبداً بما يوافق مراده وإنما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهم البقاء ويقرره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفاً على هذا التفكر بالدنيا فيلهوعن ذكر الموت ولا يقدر قربه.

وان خطر له في بعض الأحوال أمر الموت وضرورة الإستعداد له

سوف ووعد نفسه وقال: الأيام بين يديك فانتظر حتى تكبر ثم تتوب واذا كبريقول في نفسه إنتظر إلى أن تصير شيخاً أمامك متسع من الوقت واذا صار شيخاً يقول: إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار او إلى ان ترجع من هذه السفرة...

ولا يزال يسّوف ويؤخر إلى ان تختطفه المنيه في وقت لا يحتسبه فتطول عند ذلك حسرته، وأكثر أهل صياحهم من «سوف» يقولون «وا حزناه من سوف».

والمسوّف المسكين لا يدري ان الذي يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غداً وإنما يزداد حب الدنيا في قلبه بطول المدة قوة ورسوخاً فأصل الأماني كلها حب الدنيا والأنس بها والغفلة عن معنى قول النبيﷺ «**أحبب ما أحببت فإنك مفارقه**».

اما الجهل فهو بأن يعول الإنسان على شبابه فيستبعد الموت مع الشباب والمسكين لا يعلم ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عُشر أهل البلد وإنما قلوا لأن الموت في الشبان أكثر فإلى ان يموت الشيخ يموت ألف شاب وصبي وقد يستبعد الشاب الموت وهو لا يدري

انه غير بعيد عنه ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص لعظم اشتغاله بالإستعداد له واستشعاره ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دعواه إلى طول الأمل وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو يشيع الجنائز ولا يقدر انه سيشيع يوماً لأن هذا قد تكرر عليه وألفها وهو قد شاهد موت غيره أما موت نفسه فلم يألفه.

أما علاج الجهل وحب الدنيا فهو في دفع أسبابهما أما الجهل فيدفع بالفكر الصافي مع حضور القلب وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة أما حب الدنيا وهو الداء العضال الذي أعيى الأولين والآخرين فلا علاج له إلا الإيمان باليوم الآخر وما فيه من عظم العقاب وجزيل الثواب فإذا حصل له اليقين بذلك إرتحل عن قلبه حب الدنيا فالإنسان اذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت إلى الدنيا حتى لو أعطي ملك الأرض من المشرق إلى المغرب.

فكيف وهولايملك من الدنيا إلا القدر اليسير المكدر والمنغص فكيف يمكن ان يجتمع حب الدنيا والفرح بها مع الإيمان بالآخرة وحبها ولا سبيل إلى تمكين الموت في القلب الا بالنظر إلى من مات من الأقران والتفكر في انه كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا أما من

كان مستعداً له فقد فاز فوزاً عظيما.

وأما من كان مغروراً بطول الأمل فقد خسر خسراناً مبينا ولينظر الإنسان كل ساعة إلى أطرافه وأعضائه وكل ما منحه الله إياه من النعم الجزيلة وليتدبر انه كيف تأكلها الديدان وكيف تتفتت عظامها وليتفكر في الدود كيف سيأكل حدقتيه فما للإنسان من سبيل للنجاة سوى العلم والعمل الخالص لوجه الله تبارك وتعالى والتفكر بما سيلقاه بعد الموت من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر وأهوال القيامة وفزع النداء يوم العرض الأكبرفمثل هذا التفكر والتأمل هو الذي يحيي القلب والإنسان من لحظات الغفلة.

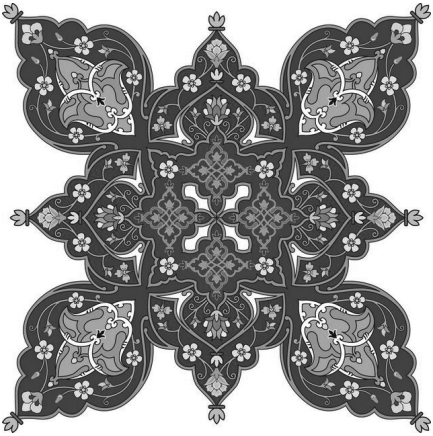

الحلقة الرابعة

طول الأمل

قال تعالى: ﴿**يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾(١)

ان الناس متفاوتون في طول الأمل وقصره فمنهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك أبداً ومنهم من يأمل البقاء إلى الهرم وهوأقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو عبارة عن الإنسان الذي يحب الدنيا حباً شديداً قال النبيﷺ: «**حبّ الشيخ شابّ في طلب الدنيا وإن التفّت ترقوتاه من الكِبَر، إلّا الذين اتقوا، وقليل ماهم**».

ومنهم من يأمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبيرما وراءها فهو يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف واذا جمع ما يكفيه لسنة اشتغل بالعبادة.

ومنهم من يأمل مدة الصيف أو الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع أمله إلى يوم وليله فلا يستعد إلا لنهاره أما الغد فلا، قال عيسىعليه السلام «**لا تهتموا برزق غد فإن يكن غد من آجالكم فستأتى فيه أرزاقكم مع آجالكم وإن لم يكن**

(١) البقرة ٩٦

من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم».

ومنهم من لا يتجاوز أمله ساعة قال النبيﷺ لعبد الله بن عمر: «**اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح**».

ومنهم من لا يقدر البقاء أيضا ساعة ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كأنه واقع به فهو ينتظره وهذا الإنسان هو الذي يصلي صلاة مودع.

فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله والله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره.

وكل إنسان يدعى أنه قصر الأمل وهو كاذب إنما يظهر ذلك بأعماله فتجده يعتني بأسباب ربما لا يحتاج إليها في سنة فيدل ذلك على طول أمله.

وإنما علامة التوفيق تكمن بأن يجعل الموت نصب عينيه فلا يغفل عنه ساعة فليستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت فإن عاش إلى المساء

شكر الله تعالى على طاعته وفرح بأنه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله إلى الصباح وهكذا إذا أصبح.

ولا يتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا إذا مات سعد وغنم وإن عاش سر بحسن الإستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على بالك يا مسكين فإن السير حادٍ بك وأنت غافل عن نفسك ولعلك قد اقتربت من لحظة الموت وقطعت المسافة وهذا لا يتحقق إلا بالعمل الصالح.

مخاطر تأخير العمل الصالح:

أن شخصا له أخوان غائبان وينتظر قدوم أحدهما في غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فمن الطبيعي انه سيستعد للذي سيأتي من الغد لا للذي سيأتي بعد شهر فالإستعداد نتيجة القرب.

فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسى ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل الصالح لأنه يرى لنفسه متسعا في تلك السنة فيؤخر العمل

كما قال رسول الله ﷺ: «**ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفنداً أو موتا مجهزا أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر**».

وقال ابن عباس قال النبي ﷺ لرجل وهو يعظه: «**إغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك**».

وقال ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**»، أي أنه لا يغتنمهما أكثر الناس ثم يعرفون قدرهما عند زوالهما وخرج النبي ﷺ يوماً والشمس على أطراف السقف فقال: «**ما بقي من الدنيا إلا مثل ما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه**».

وقال ﷺ: «**مثل الدنيا مثل ثوب يشق من أوله إلى آخره فبقي معلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع**».

وقال جابر كان رسول الله ﷺ إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول:

«**صبحتكم ومسيتكم بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين أصبعيه**».

سكرات الموت وشدته:

لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره وان يفارقه سهوُهُ وغفلته وان يطول فيه فكره ويعظم له استعداده، وقال لقمان لابنه وهو يعظه: «**يا بني أمر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك**».

فكيف إذا كان هذا المسكين في كل نفس من أنفاسه هو بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور.

و أن شدة الألم عند سكرات الموت لا يعرفها على حقيقتها إلا من ذاقها ومن لم يذقها فإنما يعرفها بالقياس إلى الآلام الأخرى التي أدركها، وإما من خلال الإستدلال بأحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه.

فأما القياس الذي يشهد له فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم فإذا كان فيه الروح تألم، فالمدرك للألم هو الروح فاذا أصاب العضو الذي فيه الروح جرح أو حرق سرى الأثر إلى الروح فبقدر ما يسري إلى الروح يتألم، والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بعض الألم فإن كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده.

وحالات النزع عبارة عن ألم نزل بنفس الروح فإستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشرة في أعماق البدن إلا وقد حل به الألم فلو أصابت الإنسان شوكة فالألم الذي يجده إنما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي أصابته الشوكة وإنما يعظم أثر الإحتراق لأن أجزاء النار تغوص في سائر أجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا وباطنا إلا وتصيبه النار فتحسه الأجزاء الروحانية المنتشرة في سائر أجزاء اللحم.

وأما الجراحة فإنما تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط اما ألم النزع فإنه يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فإنه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من

الأجزاء ومفصل من المفاصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم فلا تسأل عن كربه وألمه حتى قالوا: إن الموت لأ شد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض.

لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المتناول نفس الروح!.

وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وإنما انقطع صوت الميت وصياحه من شدة ألمه لأن الكرب قد نال منه وغلب على كل موضع منه فهد كل قوته وضعفت كل جوارحه فلم يترك له قوة إلا قوة إلاستغاثة.

أما العقل فقد غشيه وشوشه وأما اللسان فقد أبكمه وأما الأطراف فقد ضعفها، ويود لو قدر على الإستراحة بالأنين والصياح والإستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فإن بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره.

وقد تغير لونه حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالألم منتشر في داخله وخارجه حتى

ترتفع الحدقتان إلى أعالي أجفانه وتتقلص الشفتان ويتقلص اللسان إلى أصله وتخضر أنامله.

فلا تسل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم لا من عرق واحد بل من جميع العروق.

ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا فتبرد أولا قدماه ثم ساقاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة.

وقال رسول الله ﷺ: «**تقبل توبة العبد ما لم يغرغر**».

الحلقة الخامسة

صفة الموت

قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: صف لنا الموت، فقال علي عليه السلام:

«على الخبير سقطتم، الموت هو أحد ثلاثة أمور ترد عليه، إما بشارة بنعيم الأبد، وإما بشارة بعذاب الأبد، وإما بتخويف وتهويل لا يدري من أي الفرق هو، أما ولينا المطيع لأمرنا فهو المبشّر بنعيم الأبد واما عدونا المخالف لأمرنا فهو المبشر بعذاب الأبد، واما المبهم أمره الذي لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه يأتيه الخبر مبهما مخوفا ثم لن يسويه الله عزوجل بأعدائنا لكن يخرجه من النار بشفاعتنا، فاحتملوا وأطيعوا ولا تتكلوا ولا تستصغروا عقوبة الله عزوجل، فإن من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب ثلثمائة ألف سنة».

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: **«أعظم سرور يرد على المؤمنين اذ نقلوا عن دار النكد إلى النعيم الأبد واعظم ثبور يرد على الكافرين اذ نقلوا عن جنتهم إلى نار لا تبيد ولا تنفد».**

ولما إشتد الأمر على الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام نظر اليه من كان معه فاذا هو بخلافهم لأنهم كانوا إذا اشتد بهم الأمر تغيرت ألوانهم

وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم ورجفت جنوبهم أما الحسين عليه السلام وبعض من معه من خواصه فقد كانت تشرق ألوانهم وتهدأ جوارحهم وتسكن نفوسهم فقال بعضهم لبعض: أنظروا اليه لا يبالي بالموت فقال لهم الحسين عليه السلام:

«صبرا بنى الكرام، فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر، وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب، ان أبي حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جناتهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ما كذبت ولا كذبت».

وقيل للإمام الباقر عليه السلام: ما الموت ؟ فقال: «**هو النوم الذي يأتيكم في كل ليلة إلا أنه طويل مدته لا ينتبه إلى يوم القيامه فمنهم من رأى في منامه من أصناف الفرح ما لا يقادر قدره ومنهم من رأى في منامه من أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره فكيف حال فرحه في الموت ووجله فيه هذا هو الموت فاستعدوا له**».

قيل للإمام الصادق عليه السلام: صف لنا الموت، قال: «**للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم كله عنه، وللكافر كلسع الأفاعى ولذع العقارب أو أشد**»، قيل: فإن قوما يقولون: انه أشد من نشر بالمناشيروقرض بالمقاريض ورضخ بالأحجار وتدوير قطب الأرحية « الطاحون » في الأحداق؟

قال: «**كذلك على بعض الكافرين والفاجرين، ألا ترون منهم من يعاين تلك الشدائد فذلكم الذى هو أشد من هذا إلا من عذاب الآخرة فإنه أشد من عذاب الدنيا**»،

قيل: فما بالنا نرى كافرا يسهل عليه النزع فينطفي وهو يتحدث ويضحك ويتكلم؟ وفي المؤمنين أيضا من يكون كذلك وفي المؤمنين والكافرين من يقاسى عند سكرات الموت هذه الشدائد؟

فقال: «**ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو تعجيل ثواب وما كان من شديد فتمحيصه من ذنوبه ليرد الآخرة نقيا نظيفا مستحقا للثواب الأبد لا مانع له دونه.**

وما كان من سهولة هناك على الكافر فليوفى أجر حسناته في الدنيا

ليرد الآخرة وليس له إلا ما يوجب عليه العذاب وما كان من شدة على الكافر هناك فهو ابتداء عذاب الله له ذلكم بأن الله عدل لا يجور».

وقال رجل لأبي ذر رضي الله عنه: ما بالنا نكره الموت ؟ فقال: لأنّكم عمّرتم الدنيا و خرّبتم الآخرة فتكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب، فقيل له: فكيف ترى قدومنا على اللهّ ؟ قال: أمّا المحسن فكالغائب يقدم على أهله، و أما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه.

قيل: فكيف ترى حالنا عند اللهّ ؟ فقال: أعرضوا أعمالكم على كتاب اللهّ، إنّ اللهّ عز و جل يقول: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾(١) قال الرجل: فأين رحمة اللهّ ؟ قال: ﴿**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾(٢).

فهذه سكرات الموت ودواهي الموت ثلاثة:

الأولى: شدة النزع

(١) الانفطار ١٣

(٢) الاعراف ٥٦

الثانية: مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب، فلو رأى صورته التي عليها يقبض روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لما تحمل رؤيته.

فقد روى عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال: «**لملك الموت هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض عليها روح الفاجر؟ قال: لا تطيق ذلك، قال: بلى قال: فأعرض عنى فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان فغشي على إبراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى، قال ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه**».

وأما المطيع فإنه يراه في أحسن صورة وأجملها فقد روى عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فإذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فإذا برجل في جوف البيت فقال: «**من أدخلك داري؟.. فقال أدخلنيها ربها، فقال: أنا ربها، فقال: أدخلنيها من هو أملك بها مني ومنك!.. فقال: من أنت من الملائكة؟ قال أنا ملك الموت قال: هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن؟ قال:**

نعم، فأعرض عني فأعرض ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال: يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه».

ومنها مشاهدة الملكين الحافظين فقد قيل: «**أن ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فإن كان مطيعا قالا له: جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا، وإن كان فاجرا قالا له: لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا**».. فذلك شخوص بصر الميت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبدا.

الثالثة: مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فإنهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت بأحد البشارتين إما أبشر يا عدو الله بالنار أو أبشر يا ولي الله بالجنة، ومن هذا كان خوف أرباب القلوب والألباب وقد قال النبيﷺ: «**لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار**».

الحلقة السادسة

لقاء الله عزوجل

قال ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقالوا كلنا نكره الموت قال ﷺ: ليس ذاك بذاك إن المؤمن إذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه**».

وروى في الحديث عن النبي ﷺ إنه قال: «**إن الله إذا رضي عن عبد قال يا ملك الموت إذهب إلى فلان فأتني بروحه لأريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال: فيقول له جنوده ما لك يا سيدنا فيقول أما ترون ما أعطى هذا العبد من الكرامة أين كنتم من هذا قالوا قد جهدنا به فكان معصوما**».

ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت:

إن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسكون ومن لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه أن يكون حسن الظن

بالله تعالى.

أما الصورة فقد روى عن النبيﷺ أنه قال: «**راقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينة ودمعت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله تعالى قد نزلت به وإذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به**».

وقال الصادقعليه السلام: «**إن ولي عليعليه السلام يراه في ثلاثة مواطن حيث يسره: عند الموت، وعند الصراط، وعند الحوض، وملك الموت يدفع الشيطان عن المحافظ على الصلاة ويلقنه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله في تلك الحالة العظيمة**».

ويستحب للآخرين الحاضرين عند المحتضر أن يوجهوه إلى القبلة بأن يضعوه على ظهره بحيث يكون باطن قدميه إلى جهة القبلة.

وعنهﷺ «**لقنوا موتاكم، لا إله إلا الله، فإن من كان آخر كلامه، لا إله إلا الله، دخل الجنة**».

وينبغي للملقن أن لا يلح بالتلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطق

لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدي إلى إستثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة.

ومعنى كلمة «**لا إله إلا الله**»، أن يموت الرجل وليس في قلبه شيء غير الله عز وجل فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه على الموت في غاية النعيم.

أما لو كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا إليها متأسفا على لذاتها فحتى لونطق اللسان بها ولكن القلب لم يكن ناطقاً بها فإنه يخشى أن يكون في خطر المشية لأن مجرد حركة اللسان لا تنفع الا ان يتفضل الله تعالى بالقبول.

ويستحب لمن عنده أن يقرأ دعاء العديلة وان يتلو عنده سورة «يس، ص، الصافات، الاحزاب، وآية الكرسي»

وأما حسن الظن فهو مستحب فعن رسول الله ﷺ يقول: «**يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**».

ودخل النبي ﷺ على شاب وهو يموت فقال: «**كيف تجدك قال**

أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال ﷺ: لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف».

حكي ان ملكاً من الملوك أراد أن يركب إلى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات.

وكذلك طلب دابة فأُتي بها فلم تعجبه حتى أُتي بدواب فركب أحسنها فجاء إبليس فنفخ في منخره نفخة فملأه كبرا .

ثم سار وسارت معه الجنود وهو لا ينظر إلى الناس كبرا، فجاءه رجل رث الهيأة فسلم فلم يردّ فأخذ بلجام دابته فقال: أرسل اللجام فقد تعاطيت أمراً عظيما وقال إن لي إليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال: لا الآن فقهره على لجام دابته فقال: اذكرها قال: هو سر فأدنى له رأسه فسرّهُ وقال له: أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال: دعني حتى أرجع إلى أهلي وأقضي حاجتي وأودعهم، قال: لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبدا فقبض روحه فخر كأنه خشبة.

ثم مضى فلقي عبدا مؤمنا في تلك الحال فسلم عليه فرد السلام فقال إن لي إليك حاجة أذكرها في أذنك فقال هات فسرّهُ فقال: أنا ملك

الموت فقال أهلا ومرحبا بمن طالت غيبته علي فوالله ما كان في الأرض غائب أحب إلي أن ألقاه منك

فقال: ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت لها فقال مالي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر على أي حال شئت أن أقبض روحك فقال: تقدر على ذلك ؟ قال نعم إني أمرت بذلك قال: فدعني حتى اتوضأ وأصلي ثم اقبض روحي وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد.

وحكي أيضاً بينما جبار من الجبابرة من بني إسرائيل جالس في داره إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته فثار إليه فزعا مغضبا، فقال له: من أنت ومن أدخلك على داري؟ فقال: أما الذي أدخلني الدار فربها وأما أنا فالذي لا يمنع من الحجاب ولا استأذن على الملوك ولا أخاف سطوة السلاطين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد.

قال فسقط في يد الجبار وارتعد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع رأسه إليه مستجديا متذللا له فقال له أنت إذن ملك الموت قال أنا هو قال فهل أنت ممهل حتى أحدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك

وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك فليس إلى تأخيرك سبيل قال فإلى أين تذهب بي قال إلى عملك الذي قدمته وإلى بيتك الذي مهدته قال فإني لم أقدم عملا صالحا ولم أمهد بيتا حسنا قال فإلى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط ميتا بين أهله فمن بين صارخ وباك.

الحلقة السابعة

مابعد الموت

بعد خروج الروح من الجسد يغسل الميت بثلاثة أغسال:

الأول بماء فيه شيء من السدر.

الثاني بماء فيه شيء من الكافور.

الثالث بالماء الخالص.

ثم ينشف بدن الميت بقماش نظيف أو ما أشبه ثم يمسح مواضع سجوده السبعة بالكافورويسمى بالحنوط ثم يكفن بثلاث قطع من القماش الأبيض الحلال.

آداب حضور الجنائز:

ان الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لأهل الفطنة أما أهل الغفلة فلا تزيدهم مشاهدتها إلا قساوة لأنهم يظنون أنهم ينظرون إلى جنازة غيرهم ولا يحسبون أنهم سيحملون يوماً على الجنائز أو ربما يحسبون ذلك ولكن يظنّون انه قريب منهم فلا يعلمون ان المحمولين

على الجنائز كلهم كانوا هكذا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض زمانهم.

فلا ينبغي ان ينظر عبد إلى جنازة إلا ويعد نفسه محمولا وربما كان الأمر قريبا جداً فلعله يكون اليوم او الغد.....

أما أسباب الغفلة عن هذا التفكير والإتعاظ فهو قساوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله واليوم الآخر، فمن آداب حضور الجنائز التفكر والإستعداد والمشي على هيأة التواضع ومن آدابه أيضا حسن الظن بالميت وان كان فاسقاً وإساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح قال الإمام الصادق عليه السلام: « **من شيع جنازة مؤمن حتى يدفن في قبره وكل الله عز وجل به سبعين ملكا من المشيعين يشيعونه ويستغفرون له إذا خرج من قبره إلى الموقف**».

ويستحب للمشيع ان يقول «**إنا لله وإنا اليه راجعون الله أكبر هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله اللهم زدنا إيمانا وتسليما الحمد لله الذي تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت**».

وان يقول المشيع حين حمل الجنازة: «**بسم الله وبالله وصلى الله على محمد وآل محمد اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات**».

وخير شاهد نستشهد به لكلامنا في هذه الحلقة هو

ان رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته إذ لم يعتن به أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملوه إلى المصلى فما صلى عليه أحد فحملوه إلى الصحراء للدفن وكان على جبل قريب زاهد من الزهاد وكان في حاله كالمنتظر للجنازة، فما إن وصلت حتى قصدها ليصلي عليها فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد نزل ليصلي على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال لهم: قيل لي في المنام: انزل إلى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها إلا امرأة فصل عليه فإنه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد أمرأته وسألها عن حاله وانه كيف كانت سيرته؟

فقالت: كما هو معروف كان طول نهاره في شرب الخمر مشغول فقال لها: انظري هل تعرفين منه شيئاً من أعمال الخير قالت: نعم ثلاثة أشياء، كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصباح فيبدل ثيابه ويتوضأ ويصلي الصبح ثم يعود مرة أخرى إلى حالته الأولى والثاني: أنه كان أبداً لا يخلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان إحسانه اليهم أكثر من إحسانه إلى

أولاده وكان شديد التفقد لهم.

والثالث: أنه كان يفيق في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول: يا رب اي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث ويعني به نفسه، فانصرف الزاهد وارتفع تعجبه.

كما ان زيارة القبور من المستحبات بشكل عام للتذكر والإعتبار وزيـارة قبور الصالحين مستحبة أيضا لأجل التبرك بالإضافة إلى الإعتبار.

فعن الإمام علي عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإن في زيارتها تذكرة للآخرة غير أن تقولوا هجراً**».

وعن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام، أيصلى عن الميت ؟

قال: «**نعم حتى انه ليكون في ضيق فيوسع الله عليه ذلك الضيق ثم يؤتى فيقال له: خفف عنك هذا الضيق بصلاة فلان أخيك عنك**»، قال: فقلت له: فأشرك بين رجلين في ركعتين؟ قال: «**نعم فقال عليه السلام: ان الميت**

ليفرح بالترحم عليه والإستغفار له كما يفرح الحي بالهدية تهدى اليه».

وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «**من عمل من المسلمين عن ميت عملا صالحاً أضعف له ونفع الله به الميت**».

كما ويستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له، والهدف من زيارة القبور للزائرين الاعتبار وللمزور الإنتفاع بدعائه، فلا ينبغي ان يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الإعتبار به، يحصل له الإعتبار من خلال تصور حال الميت وما يجري عليه من تفرق أجزائه وكيف يبعث من قبره وانه قريب اللحوق به.

ويستحب أيضا الثناء على الميت وان لا يذكر إلا بالجميل قال صلى الله عليه وآله: «**لا تذكروا أمواتكم إلا بخير فإنهم إن يكونوا من أهل الجنه تأثموا وان يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه**».

وقال أبو عمرو بن العلاء جلست إلى جرير وهو يملي على كاتبه شعرا فأطلعت جنازة فأمسك وقال شيبتني والله هذه الجنائز وأنشأ يقول:

تروعنا الجنائز مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذئب فلما غاب عادت راتعات

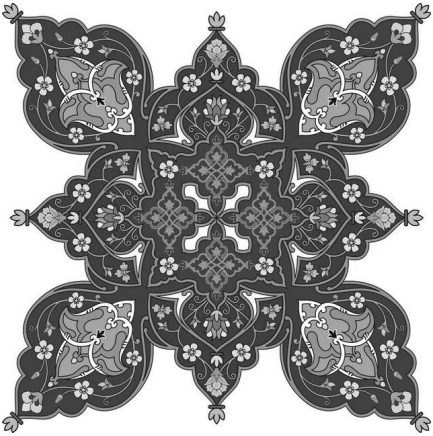

الحلقة الثامنة

الروح

تناجيك أجداث وهن صموت وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغــة لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

إن للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد أخطأوا فيها فظن بعضهم أن الموت هو العدم وأنه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وأن موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات، وهذا رأي الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر.

وظن قوم أن الإنسان ينعدم بالموت ولا يتألم ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر إلى أن يعاد في وقت الحشر وقال آخرون إن الروح باقية لا تنعدم بالموت وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد وإن الأجساد لا تبعث ولا تحشر أصلا.

وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الإعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن الموت معناه تغير حال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إما معذبة وإما منعمة.

ومعنى مفارقتها للجسد إنقطاع تصرفها به بخروجه عن طاعتها فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها فتبطش باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين....

أما العلم فإن الروح تعلم حقيقة الأشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد يتألم بنفسه بأنواع الحزن والغم والكمد ويتنعم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا تعلق له بالأعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد أما ما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إليه ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد في القبر ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده.

و تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل الأعضاء بفساد يصيبها أولشدة تقع في الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة المدركة باقية ومستعملة لبعض الأعضاء وقد استعصى عليها بعضها.

والموت عبارة عن إستعصاء الأعضاء كلها اما الروح والتي يدرك الإنسان وبها العلوم والآلام والغموم واللذات الأفراح فإنها وان بطل

تصرفها في الأعضاء.

بسبب الموت إلا أن العلوم والإدراكات الأخرى لا تبطل ومنها الأفراح والغموم والآلام واللذات أيضا.

فالإنسان في الحقيقة هو المعني المدرك للعلوم والآلام واللذات وهذا لا يموت ولا ينعدم، فحقيقة الإنسان نفسه وروحه وهي باقيه نعم إنما يكون تغير حاله من جهتين، الأولى أنه قد سلبت منه حواسه وجميع أعضائه.

والثاني: انه سلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه وأملاكه.

ولذا إن كان للإنسان في الدنيا شيء يأنس به ويستريح إليه فإنه سيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه في مفارقته بل يلتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به وإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله ولم يأنس إلا به عظم نعيمه وتمت سعادته إذا خليّ بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله.

و ينكشف للإنسان بالموت ما لم يكن مكشوفا له في الحياة كما قد ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكشوفا له في النوم فالناس كما قيل نيام فإذا ماتوا انتبهوا، وأول ما ينكشف له ما يضره وما ينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي في سر قلبه وكانت تشغله عن الإطلاع عليه شواغل الدنيا فإذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها تحسرا يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص منها.

وعند ذلك يقال له:﴿**كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾(١) وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن، فتشتعل فيه نيران فراق ما كان يطمئن إليه من هذه الدنيا الفانية والتي انشغل بها الزاد والغاية والمقصد.

أما من كان همه التزود للآخرة فإذا بلغ مقصده فرح بمفارقته الدنيا لأنه لم يكن يريد الزاد بعينه وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة وكان يود أن تنقطع ضرورته ليستغني بالكامل عنها.

---

(١) الاسراء ١٤

فهذه إشارة إلى حال الميت عند الموت شاهدها اولو البصائر مشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين وشهدت لذلك شواهد الكتاب والسنة، نعم لا يمكن الغطاء عن كنه الموت، اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة حقيقة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وادراك ماهية ذاتها، ولم يؤذن للرسولﷺ بأن يتكلم في الروح وكان يكتفي بقوله تعالى: ﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِي**﴾(١) ولا يزيد عليه ابداً.

فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه وإنما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت، ويدل على أن الموت ليس عبارة عن انعدام الروح ودلت على ذلك آيات إذ قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾(٢).

ولما قتل صناديد العرب يوم بدر ناداهم رسول اللهﷺ فقال: «**يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعدكم**

(١) الاسراء ٨٥
(٢) آل عمران ١٦٩

ربكم حقا ؟» فقيل: يا رسول الله أتناديهم وهم أموات ؟ فقالﷺ: «**والذي نفسي بيده إنهم لأسمع لهذا الكلام منكم إلا أنهم لا يقدرون على الجواب**».

فكلام رسول اللهﷺ نص على بقاء روح الشقي وبقاء إدراكها ومعرفتها والآية الكريمة تنص على بقاء أرواح الشهداء والميت لا يخلوعن سعادة أو شقاء.

وقالﷺ «**القبر إما حفرة من حفر النيران أو روضة من رياض الجنة**»، وهذا نص صريح على أن الموت معناه تغير حال فقط. وأنه عند الموت سينال الميت نصيبه من الشقاء او السعادة من غير تأخر وإنما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله، وروي عن النبيﷺ أنه قال: «**الموت القيامة فمن مات فقد قامت قيامته**».

وقالﷺ: «**إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن الجنة وإن كان من أهل النار فمن النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة**».

الحلقة التاسعة

معرفة المؤمن والكافر نفسه مابعد الموت

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**حرام على كل نفس ان تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار**».

إنما مثل المؤمن حين تخرج روحه مثل رجل كان في سجن فأخرج منه فهو يتفسح في الأرض ويتقلب فيها وهذا حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له أنس إلا بذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به أنسه لذا فإن منتهى النعيم وأكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لأنهم ما أقدموا على القتال إلا وهم قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين إلى لقاء الله راضين بالقتل في طلب مرضاته.

وان تجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق وان يكون في بعض الأحوال لاكلها بحيث انه قد لا يدركه الموت وهو على حالة الحب، أما القتل في سبيل الله فهو سبب لإدراك الموت على مثل هذه الحالة فلهذا عظيم النعيم إذ معنى النعيم أن ينال الإنسان ما يريده قال الله تعالى:

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾(١).

فكانت هذه أجمع عبارة لمعاني لذات الجنة وأعظم العذاب أن يمنع الإنسان عن مراده كما قال الله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾(٢).

قال رسول الله ﷺ لجابر: «**ألا أبشرك يا جابر؟ وكان قد استشهد أبوه يوم أحد فقال: بلى يارسول الله بشرك الله بالخير. فقال: إن الله عز وجل أحيا أباك فأقعده بين يديه فقال: تمن علي عبدي ما شئت أعطيكه. قال: يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك في سبيلك فأقتل فيك مرة أخرى فقال له: أنه قد سبق مني أنك إليها لا ترجع**».

أن المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالنسبة له كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب إلى بستان واسع الأكناف لا يبلغ طرفه أقصاه فيه أنواع الأشجار والأزهار والثمار والطيور فلا يشتهى العود إلى السجن

(١) الزمر ٣٤

(٢) سورة سبأ ٥٤

المظلم وقد ضرب له رسول اللهﷺ مثلا فقال لرجل مات: «**أصبح هذا مرتحلا عن الدنيا وتركها لأهلها فإن كان قد رضي فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه**».

وقالﷺ «**أن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على خروجه حتى إذا رأى الضوء لم يحب أن يرجع إلى إلى بطن أمه فكذلك المؤمن يجزع من الموت فإذا أفضى إلى ربه لم يحب ان يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى مكانه**».

ان كلام الموتى إما بلسان المقال أو بلسان الحال التي هي أفصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الأحياء.

قال رسول اللهﷺ «**يقول القبر للميت حين يوضع فيه: ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ألم تعلم أني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي إذ كنت تمر بي فذادا « إي ذا أمل كثير وخيلاء وسعي دائم » فإن كان مصلحا أجاب عنه مجيب للقبر فيقول: أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر: إني إذا أتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه إلى الله تعالى**».

روي ان رسـول اللهﷺ خـرج على جنازة رجـل من الأنصار فجلسﷺ على قبر منكسا راسه قال: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر- ثلاثا - ثم قال إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة بعث الله له ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه و كفنه فيجلسون مد بصره فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء و الأرض و كل ملك في السماء و فتحت له أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه به فإذا صعد بروحه قيل أي رب عبدك فلان فيقول أرجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فإني وعدته ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾(١) و أنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ومن إمامك؟ فيقول ربي الله وديني الاسلام و نبيي محمد و إمامي علي و يعد الأئمة واحدا واحدا قال فينتهرانه انتهارا شديدا و هي آخر فتنة تعرض عليه.**

فإذا قال ذلك نادى منادٍ صدقت و هي معنى قوله ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ ﴾(٢) ثم يأتيه آتٍ

(١) طه ٥٥

(٢) إبراهيم ٢٧

حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول: أبشر برحمة من ربك و جنات فيها نعيم مقيم فيقول وأنت فبشرك الله بخير من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله ما علمت إلا انك كنت لسريعا في طاعة الله تعالى بطيئا في معصية الله فجزاك الله خيرا.

قال ثم ينادي منادٍ أن أفرشوا له من فراش الجنة و افتحوا له بابا إلى الجنة فيفرش له فرش من الجنة و يفتح له باب إلى الجنة فيقول: اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع إلى أهلي و مالي.

و أما الكافر فإنه حال انقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد ومعهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكره ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل: اي رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا ارض فيقول الله: إرجعوه فأروه ما أعددت له من الشر إني وعدته ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾(١) فإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال له: يا هذا من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول: لا أدري فيقال:

(١) طه ٥٥

لا دريت ثم يأتيه آتٍ قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول: أبشر بسخط من الله وبعذاب أليم مقيم فيقول: بشرك الله بشر من أنت فيقول: انا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعاً في معصية الله بطيئاً عن طاعة الله فجزاك الله شراً فيقول: فأنت فجزاك الله شراً ثم يقيض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على ان يقلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار تراباً فيضربه بها ضربه فيصير تراباً ثم تعود فيه الروح فيضرب عنقه بها ضربه يسمعها من على الأرض غير الثقلين قال: ثم ينادي منادٍ ان افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له باباً إلى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار».

الحلقة العاشرة

حساب القبر

قال النبيﷺ: «**للمؤمن في قبره روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر. - ثم قال-: هل تدرون في ماذا أنزلت ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾(١) قالوا: الله ورسوله أعلم قال:عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين؟ إنه تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة رؤوس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه إلى يوم القيامة**».

ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد من العقارب والحيات فإن أعدادها بقدر أعداد الأخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات.

وهذه الصفات المذمومة بعينها هي المهلكات وهي نفسها تنقلب عقارب وحيات فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف منها يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذي إيذاء الحية، وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها إلا أن مقدار

(١) طه ١٢٤

عددها لا يعرف إلا بنور النبوة، فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها بل ان أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم، ويمكن أن يحصل التصديق بهذه الحقائق من خلال ثلاثة مقامات:

المقام الأول: ان نعلم ان هذه الحقائق لا تشاهد بالعين المجردة الدنيويه لأن هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية فكل ما يتعلق بالآخرة هو من عالم الملكوت. اما ترى كيف كانوا يؤمنون بنزول جبرئيل وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بانهﷺ يشاهده وكما ان الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات فكذلك الحيات والعقارب التي تلدغ في القبر فإنها ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وإنما تدرك بحاسة أخرى.

المقام الثاني: أن نتذكر أمر النائم وأنه قد يرى في نومه حية تلدغه فيتألم بذلك حتى تراه يصيح في نومه ويعرق جبينه وأنت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى باطنه ولا ترى حية موجودة حوله ولا عقرباً.

المقام الثالث: أن نعلم أن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها هو السم ثم ان السم ليس هو الألم بل عذابنا من أثرالسم فلو حصل مثل هذا الأثر من غير سم لكان العذاب والألم واقعا لا محالة ولكن نحن عادة لا يمكن ان نعرف ذلك النوع من العذاب الا عندما يضاف إلى السبب الذي يفضي اليه في العادة.

والصفات المذمومة عند الموت تنقلب إلى آلام وأذى في النفس فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير ضرورة إلى وجود الحيات والعقارب

وانقلاب الصفة مؤذية من أصعب الأمورفالميت قد أحب الدنيا فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده واقاربه ومعارفه بحيث انه لو أخذ منه جميع ذلك في حياته وهو لا يرجو استرجاعه فإنه يعظم شقاؤه ويشتد عذابه ويتمنى لو انه لم يكن له مال قط ولا جاه حتى لا يتأذى بفراقه. والموت عبارة عن مفارقة كل ما يحبه الإنسان من الأمور الدنيوية دفعة واحدة.

فهذه حال من لا يفرح إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم إلى

غيره ثم يضاف إلى هذا العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الآخرة والإحتجاب عن الله عز وجل فإن حب غير الله يحجب عن لقاء الله والتنعم بمشاهدته ولا يتبع نار الفراق إلا نار جهنم كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾(١).

وأما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب إلا الله وكان مشتاقا إلى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وفاز بالنعيم المقيم والأمن والحياة الخالدة ولمثل ذلك فليعمل العاملون

إذاً فكل ما يناله الإنسان من حظوظ الدنيا مما قد تعلق قلبه به فإنه سيبقى متأسفاً عليه ومعذباً به عندما تحين لحظة الموت وتؤخذ منه.

فمن كان مخِفا في الدنيا فقد سلم وهو معنى قولهم: «نجا المخفّون» وان كان مثقلاً عظم عذابه.

فما من شيء من الدنيا يتخلف عنك عند الموت إلا وهو حسرة عليك بعد الموت فإن شئت فاستكثر وان شئت فاستقلل فإن استكثرت

(١) المطففين ١٦

فلست بمستكثر إلا من الحسرة، وان استقللت فلست تخفف الا عن ظهرك، وإنما تكثر الحيات والعقارب في قبور الأغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا إليها.

بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر:

قال النبيﷺ: «**إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له: ما كنت تقول في النبي؟**

فإن كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فيقولان: إنا كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعين ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له: نم فيقول دعوني أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس التي لا يوقظها إلا أحب أهلها إليها حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا قال:لا أدري كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله فيقولان: إنا كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يقال للأرض إلتئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من

مضجعه ذلك».

أن العقل لا يتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بـالآلام واللذات لا يتغيرمن عقله شيء وليس المقصود بالعقل المدرك هذه الأعضاء بل هو شيء باطني ليس له طول ولا عرض.

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبر يظلل عليه ويتنحى الصبر ناحية وإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته فإن الصبريقول للصلاة والزكاة: دونكما صاحبكما فإن عجزتما عنه فأنا له**».

الحلقة
الحادية عشرة

نفخة الصور

لقد عرفت فيما سبق شدة أحوال الميت عند سكرات الموت وخطره فى خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم لمنكر ونكيره ان كان من المغضوب عليه والأعظم من ذلك كله الأخطار التى يواجهها الميت عند نفخ الصور والبعث ويوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان ثم جوازه الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند القضاء إما بالسعادة وإما بالشقاء.

فهذه أحوال وأهوال لا بد من معرفتها والإيمان بها ثم تطويل الفكر فيها حتى تنبعث في القلب دواعي الإستعداد لها.

مع العلم ان أكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها.

نعم إذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ولكن غفلت عنه قلوبهم.

وقد قال النبيﷺ ان الله تعالى قال: «**شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه إياي فيقول: إن لي ولدا وأما تكذيبه فقوله لن يعيدني كما بدأني**».

وإنما فتور البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم فى هذا العالم لأمثال تلك الأمور.

فإن كان فى إيمانك ضعف فقو الإيمان بالنظر فى النشأة الأولى فإن الثانية مثلها وأسهل منها وإن كنت قوي الإيمان بها فأشعر القلب تلك المخاوف والأخطار وأكثر فيها التفكر والإعتبار.

تقرع سمع سكان القبور شدة نفخ الصور فإنها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤوس الموتى فيثورون دفعة واحدة من قبورهم التي طال فيها بلاؤهم وقد أزعجهم الفزع والرعب مضافا إلى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدة الإنتظار لعاقبة الأمر كما قال تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾(١).

(١) الزمر ٦٨

وقال عزّ اسمه: ﴿**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ***﴾(١)، فلو لم يكن بين يدي الموتى إلا هول تلك النفخة لكان ذلك كافياً أن يتقى منها.

فإنها نفخة وصيحة يصعق بها من فى السموات والأرض يعنى يموتون بها إلا من شاء الله وهم بعض الملائكة ولذلك قال رسول الله ﷺ:

«**كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالأذن متى يؤمر فينفخ**».

وقيل ان الصور هو القرن وذلك أن إسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن وهو كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السموات والأرض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الأولى فإذا نفخ صعق من فى السموات والأرض حتى يموت كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله وهو جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبرئيل ثم روح ميكائيل ثم

(١) المدثر ٨-١٠

روح إسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى فى البرزخ أربعين سنة ثم يحيى الله تعالى إسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**﴾(١).

أي قيام على أرجلهم ينظرون إلى البعث و قال رسول الله ﷺ حين وصف أمر صاحب الصور: «**فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخة**».

فتفكر فى ذل الخلائق وانكسارهم واستكانتهم عند البعث خوفا من هذه النفخة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاء وأنت موجود فيهم ومنكسر كإنكسارهم متحير مثلهم.وان ملوك الأرض فى ذلك اليوم هم أذل أهل الجمع وأصغرهم وأحقرهم لذا فإنهم يوطئون بالأقدام كالذروعند ذلك تقبل الوحوش منكسة رؤوسها ذليلة ليوم النشور قد حيرتها شدة الصعقة وهول النفخة وذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَت**﴾(٢) ثم أقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى:

(١) الزمر ٦٨

(٢) التكوير ٥

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾(١) فتفكر فى حالك وحال قلبك هنالك.

أرض المحشر:

بعد البعث والنشور يقف الخلق حفاة عراة إلى أرض المحشروهي أرض بيضاء سهله لا يرى فيها عوج ولا انخفاظ ولا ارتفاع ولا يرى عليها ربوة يختفى الإنسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الأعين بل هو صعيد واحد لا تفاوت فيه يساقون إليه زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الأولى والرادفة هى النفخة الثانية وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الأبصار أن تكون خاشعة قال رسول الله ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض عفراء كقرص نقي ليس فيها معلم لأحد**».

ولا تظنن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا بل هي تشبهها بالاسم فقط قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ**﴾(٢).

(١) مريم ٦٨

(٢) إبراهيم ٤٨

وهي أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين فى هول ذلك اليوم وشدته فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الأرض لخمود سراجها فبينا هم كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤوسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام، والملائكة قيام على حافاتها وأطرافها، فيا هول صوت انشقاقها على سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان «اي كالأديم الأحمر» وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن «الصوف المصبوغ» واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم عراة مشاة قال رسول اللهﷺ: «**يبعث الناس حفاة عراة قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان قالت سودة بنت زمعه زوج النبيﷺ واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال شغل الناس عن ذلك لكل امريء منهم يومئذ شأن يغنيه**».

الحلقة

الثانية عشرة

يوم القيامة

ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «**حدثني أبي أنه سمع أباه علي بن ابي طالب عليه السلام يحدث الناس فقال: إذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك وتعالى الناس من حفرهم عُزلا بُهماً جرداً مرداً، في صعيد واحد، يسوقهم النور وتجمعهم الظلمة حتّى يقفوا على عقبة المحشر، فيركب بعضهم بعضاً، ويزدحمون دونها، فيمنعون من المضيّ، فتشتدّ أنفاسهم ويكثر عرقهم وتضيق بهم أُمورهم، ويشتدّ ضجيجهم وترتفع أصواتهم.**

قال: وهو أوّل هول من أهوال يوم القيامة، قال: فيشرف الجبّار تبارك وتعالى عليهم من فوق عرشه في ظلال من الملائكة، فيأمر ملكاً من الملائكة فينادي فيهم: يا معشر الخلائق انصتوا واستمعوا منادٍي الجبّار، قال: فيسمع آخرهم كما يسمع

أوّلهم، قال: فتنكسر أصواتهم عند ذلك وتخشع أبصارهم وتضطرب فرائصهم وتفزع قلوبهم ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصوت مهطعين إلى الداعي.

قال: فعند ذلك يقول الكافر: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾(١)، قال: فيشرف الجبّار عزّوجلّ الحَكَمُ العدلُ عليهم فيقول: أنا الله لا إله إلاّ أنا الحكم العدل الذي لا يجور، اليوم أحكم بينكم بعدلي وقسطي، لا يظلم اليوم عندي أحد، اليوم آخذ للضعيف من القويّ بحقّه، ولصاحب المظلمة بالمظلمة، بالقصاص من الحسنات والسّيئات، وأُثيب على الهبات، ولا يجوز هذه العقبة اليوم عندي ظالم ولأحد عنده مظلمة إلاّ مظلمة يهبها صاحبها، وأُثيبه عليها وآخذ له بها عند الحساب.

فتلازموا أيّها الخلائق واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدنيا وأنا شاهد لكم عليهم وكفى بي شهيداً

قال: فيتعارفون ويتلازمون فلا يبقى أحد له عند أحد مظلمة أو حقّ إلاّ لزمه بها، قال: فيمكثون ما شاء الله، فيشتدّ حالهم ويكثر عرقهم ويشتدّ غمّهم، وترتفع أصواتهم بضجيج شديد، فيتمنّون المخلص منه بترك مظالمهم لأهلها، قال: ويطّلع الله عزّ وجلّ على جهدهم فينادي منادٍ من عند الله تبارك وتعالى يسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم: يا مشعر الخلائق أنصتوا لداعي الله تبارك وتعالى واسمعوا إنّ الله تبارك وتعالى

(١) القمر ٨

يقول لكم: أنا الوهّاب إن أحببتم أن تواهبوا فتواهبوا، وإن لم تواهبوا أخذت لكم بمظالمكم.

قال: فيفرحون بذلك لشدّة جهدهم وضيق مسلكهم وتزاحمهم، قال: فيهب بعضهم مظالمهم رجاء أن يتخلّصوا ممّا هم فيه، ويبقى بعضهم فيقولون: يا ربّ مظالمنا أعظم من أن نهبها، قال: فينادي منادٍ من تلقاء العرش: أين رضوان خازن الجنان «جنان الفردوس» قال: فيأمره الله عزّ وجلّ أن يطلع من الفردوس قصراً من فضّة بما فيه من الأبنية والخدم، قال: فيطلعه عليهم في حفافة القصراي جوانبه والوصائف والخدم، قال: فينادي منادٍ من عند الله تبارك وتعالى: يا معشر الخلائق ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى هذا القصر، فيرفعون رؤوسهم فكلّهم يتمنّاه، قال: فينادي منادٍ من عند الله تعالى: يا معشر الخلائق هذا لكلّ من عفى عن مؤمن، قال: فيعفون كلّهم إلاّ القليل، فيقول الله عزّ وجلّ: لا يجوز إلى جنّتي اليوم ظالم، ولا يجوز إلى ناري اليوم ظالم ولأحد من المسلمين عنده مظلمة حتّى يأخذها منه عند الحساب، أيّها الخلائق استعدّوا للحساب.

قال: ثمّ يخلّى سبيلهم فينطلقون إلى العقبة يكرد وهي «الطرد

والدفع» بعضهم بعضاً حتّى ينتهوا إلى العرصة، والجبّار تبارك وتعالى على العرش قد نشرت الدواوين ونصبت الموازين، وأُحضِر النبيّون والشهداء، وهم الأئمة يشهد كلّ إمام على أهل عالمه بأنّه قد قام فيهم بأمر الله عزّ وجلّ ودعاهم إلى سبيل الله.

قال الراوي: فقال له رجل من قريش يابن رسول الله إذا كان للرجل المؤمن عند الرجل الكافر مظلمه أي شيء يأخذ من الكافر وهو من أهل النار؟

قال:فقال له علي بن الحسين عليه السلام: يطرح عن المسلم من سيئاته بقدر ما له على الكافرفيعذب الكافر بها مع عذابه بكفره عذاباً بقدر ما على المسلم قبله من مظلمة قال: فقال له القرشي: فاذا كانت المظلمة للمسلم عند مسلم كيف تؤخذ مظلمته من المسلم ؟

قال يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حق المظلوم فتزاد على حسنات المظلوم قال: فقال له القرشي: فإن لم يكن للظالم حسنات ؟

قال: ان لم يكن للظالم حسنات فإن كان للمظلوم سيئات يؤخذ من سيئات المظلوم فتزاد على سيئات الظالم».

قال رسول الله ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم**».

فمن الطبع الآدمي إنكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهى تمشى على بطنها لأنكر تصور المشي على غير رجل والمشي بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك.

فإياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفته بالقياس لما فى الدنيا فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكارا لها. فاستحضر فى قلبك صورتك وأنت واقف ذليل مدحور متحير مبهوت منتظر لما يجري عليك من القضاء اما بالسعادة أو بالشقاء وأعظم بهذه فإنها عظيمة.

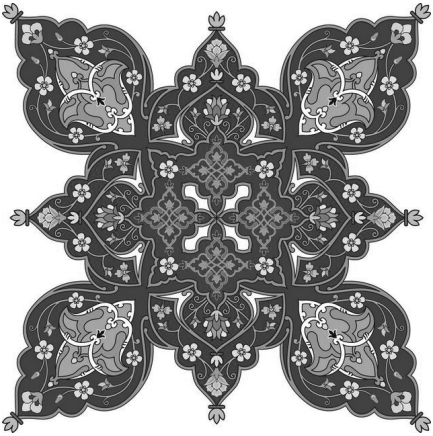

الفهرس

الحلقة الأولى..... ٣

الحلقة الثانية..... ١٣

الحلقة الثالثة..... ٢١

الحلقة الرابعة..... ٣١

الحلقة الخامسة..... ٤١

الحلقة السادسة..... ٤٩

الحلقة السابعة..... ٥٧

الحلقة الثامنة..... ٦٥

الحلقة التاسعة..... ٧٣

الحلقة العاشرة..... ٨١

الحلقة الحادية عشرة..... ٨٩

الحلقة الثانية عشرة..... ٩٧

الفهرس.....١٠٥